بقوا نتحرو من أين هذا الكلام من الرآي فقد تمثل له كلام في خلده فيراه بوهمه
كما يرى صورة الأشيا ومن تخبر أحوال الرؤيا عرف هذا من نفسه ومن غيره
ولكن الصورة المرئية في النوم تكون في الغالب أمثالا مضروبة وقد تكون على ظاهرها
وأما الكلام الذي يسمعه أو يتوهمه ممثلا في الخلد فلا يكون إلا على ظاهره مثل
أن تسمع أنت سالم والله خير لك أو ما أشبه هذا من الكلام فليس له معنى
سوى ظاهره وذكروا أن فرسا ذبت بذنبه فأصاب كلاب سيف قال ابن إسحاق
كلاب وهي الحديدة العقفا وهي التي على الغمد وفي كتاب العين الكلب مسمار
في قائم السيف قال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتفال ولا يتطير ويتعوذ
من العيافة وظاهر كلامه أن العيافة في المكروه خاصة والفال في المحبوب
وقد يكون في المكروه والطيرة تكون في المحبوب والمكروه وفي الحديث أنه نهى
عن الطيرة وقال خيرها الفال فدل على أنها تكون على وجوه والفال خيرها ولفظها
يعطي أنها تكون في الخير والشر لأنها من الطير تقول العرب جرى له الطائر بخير
وجرى له بشر وفي التنزيل وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه وقوله في هذا
الحديث إني أرى السيوف اليوم ستستل يقوي ما قدمناه من التوسم والزجر
المصيب وأنه غير مكروه ولكنه غير مقطوع به إلا أن يكون من كلام النبي صلى الله
عليه وآله وسلم وقد قدمنا منه فوائد مقنعا في حديث مزمر وبقرة الغراب
الأعصم ولله في كل شي حكمة وإعمال الفكر في الوقوف على حكمة الله عبادة

فصل في ذكر المستصغرين يوم أحد

الذين أرادوا الخروج
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فردهم لصغرهم منهم البرا بن عازب وأسيد
بن ظهير وزيد بن ثابت إلى آخرهم ولم يذكر فيهم عرابة بن أوس بن قيظي وقد
ذكرته طائفة فيهم وممن ذكره فيهم القتبي في كتاب المعارف وهو الذي يقول
فيه الشماخ إذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين ولعرابة
أخ اسمه كباثة له صحبة ومن المستصغرين يوم أحد سعد بن حبتة عرف بأمه
وهي حبتة بنت مالك أنصارية وهو سعد بن بجير من بجيلة رده رسول الله
صلى الله عليه وسلم يوم أحد لصغر سنه فلما كان يوم الخندق رآه يقاتل قتالا شديدا
دعاه ومسح على رأسه ودعا له بالبركة في ولده ونسله فكان عما لأربعين وخالا
لأربعين وأبا لعشرين ومن ولده القاضي أبو يوسف القاضي يعقوب بن إبراهيم
بن حبيب بن خنيس بن سعد بن حبتة وذكر قول هند بنت عتبة ويها بني عبد الدار
ويها كلمة معناها الإغرا قال الراجز وهو ذا أسيد له ويها فل فإنه مواسك مستعجل
فأما واها فإن معناها التعجب وإنما معناها الأمر بالكف وقولها إن تقبلوا نعانق
فيقال إنها تمثلت بهذا الرجز وأنه لهند بنت طارق بن بياضة الإيادي قالته في حرب

القرشي لما دفعل هذا يكون إنشاده بنات طارق بالنصب على الاختصاص كما تقول
نحن بني ضبة أصحاب الجمل وإن كانت أرادت النجم فبنات مرفوع لأنه خبر مبتدأ
أي نحن شريفات رفيعات كالنجوم وهذا التأويل عندي بعيد لأن طارقا وصف
النجم لطروقه فلو أرادته لقالت بنات الطارق إلا أني وجدت للزبير بن أبي بكر
أنه قال في كتاب أنساب قريش له أول هذا الرجز الذي قالته هند يوم أحد
نحن بنات طارق نمشي على النمارق مشي القطا النوازق إلى آخر الرجز قال وحدثني
يحيى بن عبد الملك الهديري قال جلست ليلة وراء الضحاك بن عثمان الحزامي في
مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأنا متقنع فذكر الضحاك وأصحابه
قول هند يوم أحد نحن بنات طارق فقالوا وما طارق فقلت النجم فالتفت
الضحاك وقال يا أبا بكر وكيف ذاك قلت قال الله تعالى والسما والطارق وما
أدراك ما الطارق النجم الثاقب فإنها قالت نحن بنات النجم فقال أحسنت وذكر
أبا دجانة ولبسه المشهرة وأبو دجانة الساعدي ممن دافع عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم يوم أحد وحنا عليه يوم أحد وترس بنفسه حتى كثر النبل
في ظهره واستشهد يوم اليمامة بعد أن شارك في قتل مسيلمة اشترك في قتله
هو ووحشي وعبد الله بن زيد وسنذكر ما قاله سيف بن عمر في قاتل
مسيلمة في آخر الباب إن شا الله تعالى وذكر قول أبي دجانة إني امرؤ عاهدني
خليلي يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك كان أبو هريرة يقول
حدثني خليلي وأنكر عليه بعض الصحابة وقال له متى كان خليلك وإنما أنكر عليه
المنكر هذا لقوله صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا
ولكن أخوة الإسلام وليس في هذا الحديث ما يدفع أن يقول الصحابي حدثني
خليلي لأنهم يريدون به معنى الحبيب وإنما فيه أن النبي صلى الله عليه وسلم لم
يكن يقولها لأحد من أصحابه ولا خص بها أحدا دون أن يمنع غيره من أصحابه
أن يقولها له وما كان في قلوبهم من المحبة له يقتضي هذا وأكثر منه ما لم يكن الغلو
والقول المكروه فقد قال عليه السلام لا تطروني كما أطرت النصارى المسيح
وإنما أنا عبد الله ورسوله وقال لرجل قال له أنت سيدنا وأطولنا طولا وأنت
الجفنة الغراء فقال قولوا بقولكم ولا يستجرينكم الشيطان أي قولوا بقول أهل
ملتكم وأهل دينكم كذا فسره الخطابي ومعناه عندي قولوا بقولكم لا بقول الشيطان
الذي قد جعلهم جريا له أي وكيلا ورسولا وإذا كانوا له جريا وقالوا ما يرضيه
من الغلو في المنطق فقد قالوا بقوله ويستجرينكم من قولهم جريت جريا أي وكلت
وكيلا وقال له رجل آخر أنت أشرفنا حسبا وأكرمنا أما وأبا فقال كم دون
لسانك من طبق فقال إن بعد أطباق فقال أما كان فيها ما يرد عني غرب لسانك

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)